

زليخا السعودي

سنديانة الأوراس

شريط أحمد شريط

منشورات وزارة الثقافة

الجزائر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2005



تقديم:

أصدقائي القراء...

في هذا الكتاب يهديكم المؤلف وردة من حدائق الإبداع وجوهرة ثقافية متميزة بتعدد كتاباتها في الشعر، القصة، والمقالة... هي الأديبة زليخا السعودي النخلة التي أثرت وهي في عمر الفتوة... وهي بذلك تعد مثلاً رائعاً لجميع الفتيان والفتيات من الراغبين في تحقيق ذواتهم وإبراز مواهبهم... فشكراً جزيلاً للأستاذ شريط أحمد شريط على هذه التحفة التي أخرجها من متحف الغياب وهنيئاً لكم بروعة الاطلاع.

ر. خدوسي



مهد الصبا :

تنتسب الأدبية الجزائرية: زليخا السعودي إلى عائلة، آل السعودي التي استوطنت منطقة "لمامل"، وهي عبارة عن سهل واسع، كثر الزرع، غزير الضرع، يكتسي في فصل الربيع لونا بديع الجمال، يسرُّ النظر، ويهيج النفس. يبعد سهل "لمامل" عن مدينة "بابار"، أو باب الأسد بنحو سبعة كيلومترات (7 كلم)، وتقع مدينة "بابار" في منعطف يعلوه جبل مهيب، يكاد يتصدر جبال الأوراس العظيمة، وهي تبعد عن مدينة خنشلة بنحو سبعة عشر كيلومترا (17 كلم)

تعد منطقة خنشلة من أهم مناطق الشرق الجزائري عراقا وتأصيلا في التاريخ، فهي من أهم المناطق الجزائرية المزدهرة في مجال الصناعات التقليدية، مثل: الصناعات النسيجية، والأدوات التراثية، وتشتهر في الأسواق التجارية العالمية بصناعة زربية بابار.

كما تتميز منطقة خنشلة أيضا بالحمامات المعدنية القديمة، والآثار التاريخية، ومن أهم هذه الآثار ذات السمعة العالمية:

- قصر الكاهنة، ويوجد ببلدية "بغاي"
- قصر الرومية، ويوجد ببلدية "لمصارا"
- قصر الجازية، ويوجد فوق تراب بلدية "المحمل"

- القلعة، وتوجد ببلدية "ششار"

يتكون مخيال أهل منطقة خنشلة من تراث غني بالقصص، والحكايات، والأساطير الشعبية، كما تعد من أهم الحواضر الثقافية في الجزائر، وخاصة في مجال الفنون البدوية، إذ لا تزال إلى يومنا هذا تستأثر بحفلات الأعراس، ومظاهر الفرح، والبهجة لدى أهل منطقة خنشلة.

المولد والنشأة

ولدت الأدبية زليخا السعودي في سهل لمحامل يوم 20 ديسمبر من عام 1943م، في الساعة الرابعة صباحاً، من أبوين كريمين: والدها هو الحاج محيو بن محمد، أما والدتها فهي السيدة: السعودي جمعة بنت معوش، ويبلغ عدد إخوتها اثنا عشر 12، منهم ثمانية ذكور، وأربع بنات.



عاشت زليخا السعودي سنواتها الأولى بريف "لمحامل" بين أحضان الطبيعة، حيث الفضاء الواسع، والأفق الممتد، والشمس الدافئة، وطيب المقام، وصفاء النفس.

وقد انتقلت مع أسرتها إلى بلدية "بابار" في حدود سنة 1946م، حيث استقر المقام بالأسرة في حي عتيق ذي ملامح شعبية، متجذر في البساطة

والتواضع، ولا تزال معظم بيوته الطينية قائمة إلى أيامنا.

يعرف هذا الحي حالياً بين سكان بلدية بابر، وأهل منطقة خنشلة بحي: آل السعودي، وآل بخوش، نسبة لعائلي: السعودي وبخوش، واللذين يتكون معظم سكان هذا الحي منهما.

انتقلت مع أسرتها إلى مدينة خنشلة في عام 1946م، وفي عام 1947م دخلت الكتاب القرآني، وقد تمكنت أثناء مدة قصيرة من أن تحفظ نصف القرآن الكريم.

تعرفت زليخا في مدينة خنشلة على حياة اجتماعية، وثقافية جديدة، كما اكتسبت صديقات، واكتشفت عوالم جديدة.



تلاميذ جزائريون

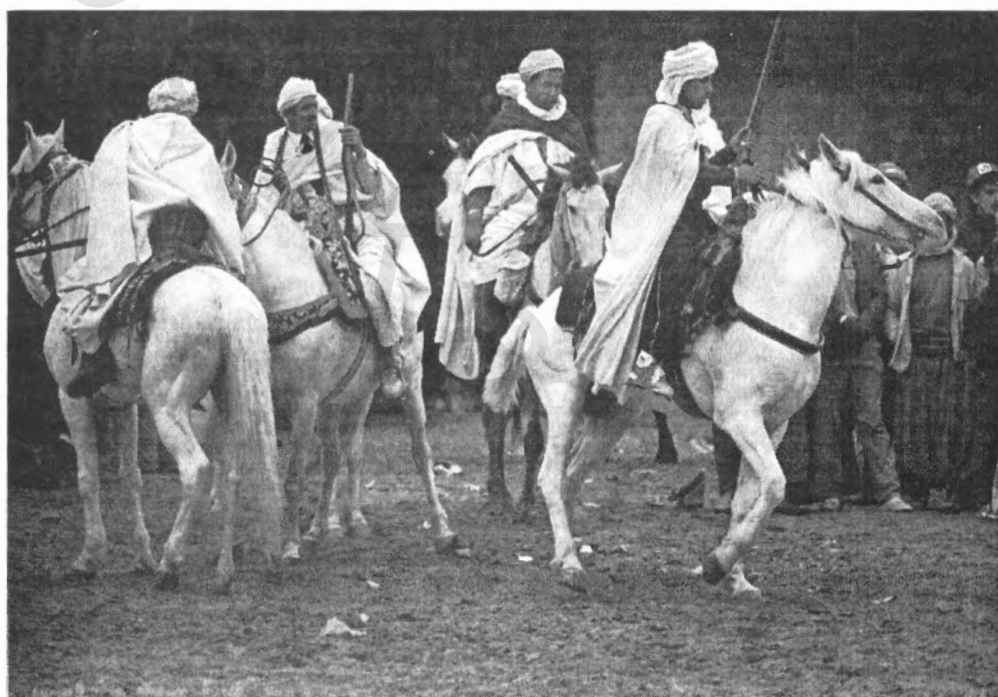
انتسبت في عام 1949م إلى صفوف تلاميذ مدرسة النادي التابع لنادي الإصلاح، الذي أسسته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة خنشلة، وكان آنذاك عمها الشيخ أحمد السعودي مديرا لمدرسة النادي، وهو يعد بمرتبة معلمها الروحي، حيث كان يشجعها على الاجتهاد في الدراسة، وكثرة المطالعة، كما كان يزودها بالكتب الأدبية التي تتوفر في مكتبة بيته. تحصلت زليخا في نهاية الموسم الدراسي لعام 1956م، على الشهادة الابتدائية بتفوق.

وانتسبت في عام 1958م إلى مدرسة الشهيد العربي التبسي بمدينة باتنة، وتابعت دروسها عن طريق المراسلة، وحصلت على شهادة الأهلية في المدرسة نفسها عام 1963م.



ورود جزائرية

تزوجت في شهر أوت عام 1965م، من ابن عمها الأستاذ: عبد العزيز
السعودي والذي لا يزال يقيم بمدينة عنابة إلى غاية اليوم، وأثناء زواجها منه،
انتسبت إلى هيئة التدريس بمدرسة وادي الذهب الابتدائية بمدينة عنابة إلا أن
ظروفا قاهرة، اضطرقتها إلى الانفصال عن ابن عمها عام 1967م بعد أن
أنجبت منه ولدها "محمد" وهو يعمل حاليا إطارا بولاية الجزائر العاصمة.



الأوراس والفروسية

وقد تزوجت للمرة الثانية برجل من مدينة باتنة في بداية السبعينيات، إلا أن
طموحها الأدبي دفع بها للانتقال إلى مدينة الجزائر العاصمة للعمل بالإذاعة
الوطنية مذيعة، بعد أن نجحت في مسابقة وطنية، مؤثرة بذلك عالم الكتابة
والحرية على تقاليد الأسرة التي لم ترفيها غير مجموعة من الضوابط الصارمة،

ومجموعة من الغرف المظلمة، يفتقد الإنسان فيها انطلاقته الإبداعية، وحرية
في التعبير عن أفكاره، وآرائه وأدوات نضاله، واتصاله.

إلا أن القدر لم يمهل الأديبة زليخا السعودي كي تحقق أحلامها في عالم
الأدب، والشغل، فتوفيت رحمها الله في يوم 22 ديسمبر عام 1972م، أثناء
عملية وضع، ويوجد ضريحها حالياً بمقبرة برج البحري بمدينة الجزائر
العاصمة.

السيرة الأدبية:

يرجح العديد ممن تحدثوا عن أعمال الأديبة زليخا السعودي، أنها بدأت
الكتابة الأدبية في حدود عام 1958م، ويؤكد عمها الشيخ أحمد السعودي
أطال الله في عمره، بأن ميولها الأدبية، وشغفها بالمطالعة، وإقبالها الشديد
على الدراسة، وحب الكتاب، بدأت وهي تلميذة لم يتجاوز عمرها مرحلة
الدراسة الابتدائية، حيث كان يأذن لها بمرافقتها، وحضورها الجلسات الأدبية
والثقافية التي يعقدها مع أصدقائه المدرسين دورياً.

وكانت الأديبة زليخا السعودي في صغرها لا تكاد ترى إلا وهي متأبطة
كتاباً، أو دفترًا، وتضع بين أناملها قلمًا، كما كانت تميل إلى العزلة، منعزلة
في غرفتها، ولم تكن تشارك في جلسات وحلقات النساء العديدة، خشية
ضياع الوقت في مناقشات لا تنتفع منها، ولا تستفيد منها ثقافياً، وأدبياً.

وقد أسندت إليها وهي في المرحلة الابتدائية بمدرسة نادي الإصلاح، بعض الأدوار التمثيلية، فكانت تتقنها أيما إتقان، وتتفاعل بقوة مع الشخصيات، والموضوعات التي تجسدها.

ويعتبر أخوها: محمد السعودي من أهم أقاربها ممن أخذوا بيدها، فقد كان يشجعها على الكتابة، والمطالعة، وشق طريقها الأدبي، كما كان يزودها بصفة منتظمة بأهم المؤلفات الأدبية لأبرز وأعلام أدباء المشرق العربي المعاصرين، فعن طريقه تعرفت زليخا السعودي على كتابات: نجيب محفوظ، وبلند الحيدري، ونازك الملائكة، ونزار قباني، وفدوى طوقان، وجبران خليل جبران، وممي زيادة، وأبو القاسم الشابي... وغيرهم.

فقد كان محمد السعودي يدرس بالقاهرة طالبا بالمعهد العالي للتمثيل، وكان من بين أساتذته، الممثل العربي الكبير: يوسف وهبي، وقد انتدبته ممثلة جبهة التحرير بالقاهرة ليتخصص في موضوع: الاتصالات السلوكية واللاسلكية، وكانت ميوله الثقافية وشغفه بالأدب والفن من أهم الأسباب التي دفعت به لأن يزود أخته زليخا بمصادر ومراجع الأدب العربي المعاصر. فكان بذلك لأخته بتمثلة المدرس، والموجه والمحفز القوي على شق طريقها في عالم الثقافة والكتابة الأدبية.

ولذلك فقد كان أقرب إخوانها لقلبها، وكانت هي تُكنُّ له كل المودة الأخوية، وتقرُّ بفضلها عليها، تبرز هذه العلاقة المتينة بين محمد وأخته زليخا

في الحزن العميق الذي كاد يعصف بحياتها عندما بلغها نبأ اغتياله بمدينة الجزائر العاصمة عام 1963م، وقد عبرت عن هذا الحزن الشديد في عدد من النصوص الأدبية: نثرية وشعرية، ومن هذه النصوص قصتها الطويلة الرائعة: "الذوبان"، التي لم تر النور مكتملة إلى غاية اليوم. ومن أشعارها التي تعبر فيها عن حزنها على فقدانها لأخيها محمد، هذا المقطع من قصيدتها:

"أغنية جرح"

فيا أخي

هل تسأل في خلودك عنا، عن جرحنا الكبير

عن أمواج الحنين

تفيض في ظلمة الليل أنين

وأختك في الدرب جرحها كبير

خلفتها للريح، والحزن إذ يثور

لو حشة البرد، وحرقة الهجير

مدامعي كيف أصونها؟

أزهاري السوداء هل أبذرهما؟

هل أسير أم لا أسير؟

ووحشة الدرب كيف أضيئها؟

كما رثته في نص نثري، كتبته في شكل خاطرة بعنوان: "سنتقي" يعد
من أهم المراثيات التي كتبت في القرن العشرين، ولم تطلها غير مرثية الرئيس
عبد العزيز بوتفليقة للقائد الفذ المرحوم هواري بومدين.

وتبين الفقرة الموالية من هذا النص بعضا من ذلك

محمد في أغنية كطفل جزائري... في المبادئ السامية... في قلوب رفاق
خلفتهم في كل طريق... في همسات الوادي.. في بابر الجميلة... في قلب
أم... وأب، في قلب أخت خلفتها أمام الأعاصير وحيدة ضعيفة... وكنت
كل سندها... في صمودها وثباتها رغم هول الجراح...".

كما يعتبر الأديب الكبير: الطاهر وطار من أبرز الشخصيات الأدبية
الجزائرية التي بسطت إليها يد المساعدة والعون، وأخذت بيدها على شق
طريقها الأدبي نحو الشهرة، وامتلاك أدوات الكتابة الإبداعية، كما فتح لها
أبواب جريدتيه اللتين أصدرهما في بداية الاستقلال: "الأحرار" و"الجماهير"،
فنشرت فيها كل ما عَنَّ لها من خواطر، وقصص، ومقالات، وأخبار... الخ.

وقد تكونت بينهما نتيجة هذا التواصل الأدبي صلة عميقة ترجمت
في عشرات الرسائل تبودلت بينهما، ولعدة سنوات، وهي تفيض بالمعلومات
الأدبية، والنقدية، والسياسية، والعلاقات الثقافية بين أدباء مرحلة الستينيات،
وعن دواليب النشر وخفائيه، إذ لا يوجد لها نظير في التاريخ الأدبي الجزائري
القديم والحديث.

ينصحها الأديب الطاهر وطار في إحدى رسائله إليها، فيقول: "... حين تكتبن أيضا، حاولي أن لا تضعي كلمة، إلا ولها دلالتها وموسيقاها، وشخصيتها إن صح التعبير، لأن الكلمة في الأقصوصة عبارة عن حجرة في البنيان، وبقدر ما تكون الكلمات قليلة بقدر ما يكون لها فعلها في نفس القارئ، ودرسنا للكلمة قبل أن نضعها يفرض علينا التركيز الضروري لبنيان الأقصوصة، وأخيرا اختصري بقدر الإمكان الحوار، واجعليه متماشيا مع مستوى البطل، ومعبرا عن شخصيته، ولا تجعله حوارك، أنت تضعينه على أفواه أبطالك المساكين... ولا تتسرعى أبدا في الكتابة كما تفعلين أيام الأحرار والجماهير، وادرسى قصتك أكثر من مرة قبل أن توقعي عليها، وأظن أنك لم تقرئي قصة "اليتامى" التي نشرتها الشعب في 3 ماي من سنة 1968م، وهي أحسن أقاصيصي بالنسبة لي على الإطلاق..."

لقد وجد الأديب الطاهر وطار في الأدبية زليخا السعودي تربة طيبة، وموهبة خصبة وأفقا أدبيا يفيض بالحياة والخير الوفير، فاندفع بكل إنسانيته، وتجاربه الأدبية يسدي لها النصيحة تلو النصيحة، ومشروعها لها الباب تلو الباب، ولو أن القدر أمهلها قليلا، لكانت لها فتوحات واسعة في مسيرة الأدب الجزائري المعاصر، ولتربعت على عرش الكتابة الأنثوية العربية دون منازع.

ولكن هي الرياح تفعل بأوراق السنديانة، كيفما تشاء؟

وكانت للأدبية زليخا مراسلات أيضا مع شخصيات جزائرية أخرى:

أدبية وإعلامية، ومن أبرزهم الشاعر الكبير: محمد الأنخضر السائحي، والأدبية

الجزائرية زهور ونيسي، والإعلامي المرحوم عيسى مسعودي.

لقد كانت وفاة الأدبية الجزائرية زليخا السعودي في يوم 22 نوفمبر 1972م بمدينة الجزائر العاصمة، فاجعة كبيرة، ليس للأدب الجزائري فحسب، ولكن أيضا فاجعة عميقة للأدب العربي المعاصر عموما.

آثارها الأدبية

خلفت الأدبية زليخا السعودي بعد وفاتها عام 1972م، أعمالاً أدبية كثيرة، متنوعة ومختلفة الأشكال والأنواع الأدبية.

نشرت الكثير من أعمالها الأدبية في الدوريات الإعلامية، والجرائد الوطنية، والجهوية، التي صدرت في الجزائر في الفترة الممتدة من عام 1958م إلى عام 1972م، ونذكر منها: الأحرار، الجماهير، وآمال، والفجر، والشعب، والجزائرية، الإذاعة الوطنية... الخ.

إلا أن الكثير من كتاباتها الإبداعية، والنقدية، بالإضافة إلى عشرات الرسائل لم يتمكن من أن يُبلَّغ لها، بسبب مرور الوقت، وكذلك بسبب الإجحاف القاسي الذي تعرضت له كتاباتها، سواء وهي على قيد الحياة، أو بعد وفاتها من قبل بعض المثقفين والأدباء الجزائريين، وكذلك من قبل بعض أفراد أسرتها ممن لم يحافظوا على "ودائعها" مثلما كانت تأمل، وتتمنى طوال حياتها.

يمكن تصنيف المجالات الأدبية التي كانت مركز مواهبها، واهتماماتها

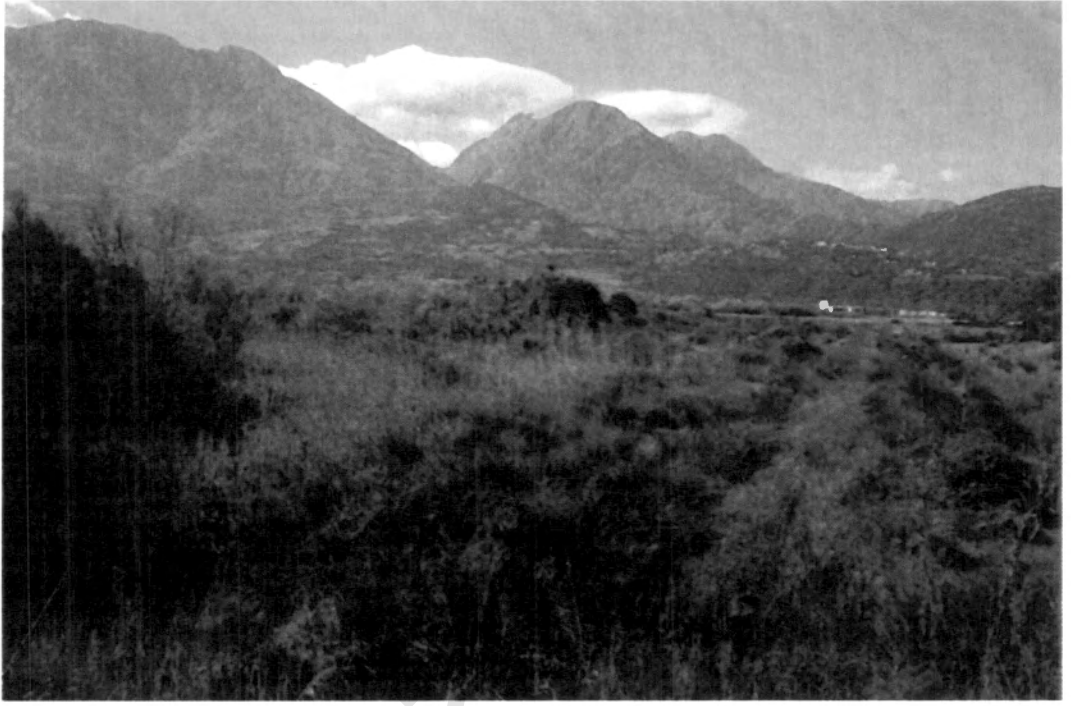
على النحو التالي:



امراة تحضر الكسكس



بسمة الصباح بين أم وابنتها



من جبالنا

أولا: القصة القصيرة

تركت الأدبية زليخة السعودي قصصا عديدة، قد تزيد عن الثلاثين قصة، بعضها تمكنت من جمعها، وبعضها الآخر تلف، ولم يكتشف إلى غاية اليوم، ومنه مجموعة "أحلام الربيع" التي أشارت إليها إدارة مجلة "آمال" في عددها الأول، الصادر في عام 1969م، ص 5، بقولها: "زليخة السعودي أديبة جزائرية ناشئة من نواحي خنشلة، وقد زاولت دراستها باللغة العربية... اهتمت بكتابة القصة القصيرة، ولديها الآن مجموعة سوف ننشرها عما قريب..."

ويؤكد وجود هذه المجموعة القصصية، الأديب الطاهر وطار في رسالة إلى الأديبة زليخة مؤرخة بالجزائر في 24/4/1969م بقوله: "ولقد تأكدت من أحاديث خاصة، ومقابلات لبعض مسؤولي الإدارة الثقافية من أنهم معجبون جدا بإنتاجك، وقد أخذوا منه أقصوصتين لنشرهما في مجلة "آمال"، وترجموا واحدة منها إلى اللغة الفرنسية..."

ولقد تمكنت -أنا- شخصيا من أن أجمع لها تسع عشرة (19) قصة منها هذه العناوين: الحمامات المهاجرة، عازف الناي، من البطل؟، من وراء المنحنى، عرجونة، اليوم الأخير، آخر خيط، الجرح والأمل، ابتسامة العمر... الخ

ثانيا: المقالات

تبين زليخا السعودي من خلال مقالاتها النقدية عن حس نقدي جريء، كما تبين عن اطلاع كبير على واقع الحركة الأدبية العربية المعاصرة، وأبرز أعلامها ممن برزوا في مجال الشعر، أو ممن برزوا في حقل الكتابات السردية، وهي بذلك قد تكون - في ظني - أول امرأة جزائرية تشق تربة الدراسات النقدية الأدبية، وترسم خطواتها الأولى.

ومن عناوين مقالاتها: المرأة في الأدب الجزائري، أحمد رضا حوحو، عاشقات الليل، موضوع عن الشعر النسائي، السائح والانتفاضة الشعرية

الحديث، المنفى ومالك حداد، نحن والابداع، انطلاقة الأدب، نزار قباني ونهاية التجربة، بداية ونهاية، اسرتنا: وهذه النظرة الاستبدادية ... الخ.

ثالثا: المسرحية

لم نعثر أثناء قيامنا بجمع آثارها الأدبية - رغم ارتكازنا على دفاترها، وأوراقها الشخصية - سوى على ثلاثة نصوص تمثيلية، وهي:

1- اليتيمان الشريدان

2- شهامة وغدر

3- التافهون

وللأدبية زليخة السعودي كتابات أخرى، في فن الخاطرة، والشعر، إلا أن الفن الذي كانت لها فيه صولات، وجولات هو فن الخطابة، فقد كانت خطيبة جماهيرية مصقعة، ولعلها قد تكون أول امرأة جزائرية تخطب في الجماهير، وفي الساحات العامة مستعملة اللغة العربية الفصحى.

وقد ساعدها على ذلك ثقافة أدبية عربية عريقة، والمأم عميق بقضايا المجتمع الجزائري، وأهم شواغله في مرحلة الاستقلال الأولى (1962-1972م)

ولعل أفضل قول، قيل في الأدبية زليخا، هذه الشهادة التي وردت على لسان الكاتب الكبير: الطاهر وطار في إحدى رسائله إليها "... لقد كان من الأول، ارتباطي بك، يعود إلى أنك أدبية وفنانة، وكنت أفخر بهذا الارتباط،

وأحاول تعزيزه بشكل لا ينفصم، لم تكوني أبدا بالنسبة لي، أنثى عادية، يمكن
اشتراؤها من السوق، في أي وقت، من الأوقات، وإنما كنت الحجرة الثمينة
التي لا يعثر عليها في كل زمان، وكانت إرادتي في أن أجعلك أديبة، ثورية،
مناضلة قوية، لا لتكلمي فقط، وإنما لأعزز بك صفوف المناضلين
التقدميين...."

رحمها الله، فقد كانت أديبة كبيرة، وهي لم تتجاوز سن التاسعة والعشرون
من عمرها، وكانت شعلة من الأحلام،— والآمال، والأفكار الجديدة، وهي
ابنة بيئة ريفية تقليدية.

المصادر والمراجع :

- 1- شريط أحمد شريط. الآثار الأدبية الكاملة للأديبة الجزائرية: زليخا السعودي (1943-1972)، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، وزارة الثقافة والاتصال، الطبعة الأولى، الجزائر 2001.
- 2- حوارات عديدة مع بعض أفراد عائلتها، ومنهم الشيخ: أحمد السعودي، وزوجها الأستاذ: عبد العزيز السعودي.
- 3- مجموعة رسائل بعث بها إليها الأديب: الطاهر وطار استلمتها من أحد أخواتها بمدينة خنشلة، وهي محفوظة بمكتبتنا الخاصة.

